

أدب الطفل بين الجمالي والتربوي

children's literature between aesthetics and ethics

محمد خاين

المركز الجامعي أحمد زبانة بغيليزان، الجزائر

mohamed.khaine@cu-relizane.dz

تاريخ النشر: 2020/03/31

تاريخ القبول: 2019/10/30

تاريخ الاستلام: 2019/09/03

ABSTRACT:

ملخص البحث

This article aims to question the problematic of ethics and aesthetics in children's literature, to highlight the limits of the distinction between them, and the impact of the writing addressed to this particular receiver, as well as than looking for operational mechanisms in order to reconcile between these two separate formally. This is the paradox: ethics, as an education, aimed at modifying the behavior of the child, and at building his personality. Aesthetics as a component rejects any normativity. This is based on an analytic theoretical approach in order to dismantle the elements of the problem and group them in a way that goes beyond the apparent ambivalence.

Keywords: children's literature; aesthetics; ethics; compromise; transposition.

تبتغي هذه الورقة مساءلة إشكالية التربوي والجمالي في أدب الطفل، وإبراز حدود التماهي بينهما، وأثر ذلك على الكتابة الموجهة إلى هذا المتلقي المخصوص، وتبحث أيضا عن آليات إجرائية للتوفيق بين هذين المتباعدين ظاهريا، وهنا مكمن المفارقة: الجمالي بما هو منفلت عن المغيرة والتنميط، والتربوي بوصفه تبسيطا وتخفيفا للمعرفة المحولة للطفل، وقولية للقيم في بنى لغوية تستهدف تعديل سلوكه، وبناء شخصيته. وذلك انطلاقا من مقارنة نظرية تحليلية، تسعى إلى تفكيك عناصر الإشكالية وإعادة تجميعها وفق منظور متجاوز للثنائية الضدية البادية عليها.

الكلمات المفتاحية: أدب الطفل؛ الجمالي؛ التربوي؛ آليات التوفيق؛ التحويل

-توطئة:

تروم هذه الورقة مقارنة مسألة جوهرية في الكتابة للأطفال، والتي تدور حول إمكانية التوفيق بين الجمالية ذات الصلة بالجانب الإبداعي الملاصق لكل أثر أدبي، والأبعاد التربوية التي تسهم في تكوين شخصية الطفل، من منطلق أنه أدب موجه لمتلق مخصص، بما يفرضه من مبدأ التبسيط المتجذر في صلب كل عملية تربوية، تقوم أساسا على نقل المعارف والخبرات وتعديل السلوكات، وغرس القيم النبيلة في نفس الطفل، وفق منهج يتبنى جملة من الآليات تدور في كليتها حول الاختزال، والتيسير للمضامين الفكرية والمحتويات المعرفية، والأنساق اللسانية.

وهو ما يدفعنا إلى التساؤل مع جملة من تساءلوا حول نمط الكتابة الواجب انتهاجه في التعامل مع أدب الأطفال: "هل يعني هذا أن يتصرف الأديب حيال الأطفال مثلما يتصرف رجل التربية أو عالم النفس، وهو الأديب الفنان؟"¹.

ومرجعية هذا الجدل الدائر بين التربوي والجمالي مردها أنه مما لا يختلف فيه اثنان أن الغاية التعليمية تقف على رأس الحوافز التي تدعو إلى ربط أدب الأطفال بالبعد التربوي، وبقدر ما هو ربط طبيعي ومشروع، فإن ذلك يلزمنا بتجاوز الصيغة المباشرة والآلية في التناول النقدي، القائمة على ثنائية متقابلة، وذلك عبر الانتقال إلى التفكير فيما يجمع بين الأدبي والتربوي تفكيراً إشكالياً.

وعليه فإن الإشكالية التي تفرض حضورها ههنا تنبني على السؤال المركب الآتي: ألا يمكن للغرض التربوي أن يطغى على أدب الأطفال، وبالتالي فإنه يزحزح قيمته الفنية إلى مرتبة ثانوية؟ وهل هناك إمكانية التوفيق بين البعدين الجمالي والتعليمي في الكتابة للطفل، بحيث تطور آلياتنا في ترقية مستوى هذا المتلقي جمالياً وتربوياً بوساطة حسن اختيار الموضوعات التي تستهويه مع تقديمها في قالب جمالي يراعي سنه ومحيطه الاجتماعي والثقافي. انطلاقاً من كون الحدود الفاصلة أو الواصلة بين الجمالي والتربوي من القضايا المحدثة في النقد الأدبي المعاصر؟ ثم إن الأنواع الأدبية: "التي تناسب الكبار لا تناسب الصغار بالضرورة؛ لأن الوصول إلى مشاعر الأطفال مسألة في غاية الصعوبة"².

2- مفهوم أدب الطفل:

وتفرض علينا الصرامة المنهجية والأعراف العلمية أن نتعرض ولو بشيء من الإيجاز قبل مقاربة الإشكالية لمفهوم أدب الطفل، حتى نتلمس حدوده، وبالتالي تنجلي لنا معالم الطريق السالكة. ولنا أن ننطلق في هذه المفهمة من القول: إن أدب الأطفال نوع أدبي متجدد ضمن دائرة الآداب الإنسانية، ومدار اهتمامه الطفولة ومنازعها بوصفها الغرس المأمول لبناء مستقبل أي أمة، وأنها ثروة المجتمع، وبهجة الحياة ومتعة النفس، ولو نظرنا إلى الحياة في جانبها المضيء لوجدنا أن ما يمنحها الجمال والسعادة أمران: أولهما المال، وثانيهما الأبناء. وفي هذا يقول الباري عز وجل في محكم تنزيله: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً»³ وهو ما يعني أنهما الثروة في بعدها المادي والمعنوي، وعلى هاتين الدعامتين تقوم الحياة ويعمر الكون، وتدور بواسطتهما عجالات التاريخ الإنساني، ويحدثنا التاريخ أن أدب الأطفال قديم قدم الإنسان على هذه الأرض ومرتبطة بوجوده واستمراره، فقد: "وجد مع وجود الخلق، حيث كانت الأم تحكي لأطفالها حوادث ما قبل النوم، وتهدهد سرائرهم بالأنغام والكلمات الجميلة، فكان أدباً رائعاً"⁴.

إن تعريف أدب الطفل يقتضي بالضرورة موضعيته ضمن دائرة الأدب العام، وبفعل الاختلاف في ضبط مفهوم جامع مانع للأدب، تسرب عدم الإجماع ذاك إلى أدب الطفل. ومرد هذا اللبس الذي شاب مفهوم الأدب عامة وأدب الطفل بخاصة، تباين الرؤى والمشارب الفكرية للدارسين، ومقاصدياتهم العلمية والعملية منه، وسوف لن نقف طويلاً عند هذه التحديدات المفاهيمية، لأنها ليست غاية ولا جوهر هذه الورقة، ومن ثمة سنكتفي بما أورده نجيب الكيلاني بوصفه أحد رواد هذا الفن عربياً، حيث نجده قام بعملية تركيبية توفيقية

لجملة من المفاهيم انطلق فيها من كونه فن الكلمة، المتجلي عبر تمظهر مكتوب ومنطوق من جميل الكلام، القائم على اتحاد الأدبي مع النفسي؛ وهو ما يوصل إلى أن غايته المتعة والمنفعة، وبذلك يكون تعبيراً عن الحياة بوساطة اللغة⁵. ويتفرد أدب أطفال بتوجهه نحو قدرات الطفل مراعيًا حاجاته. وعلى هذا تكون سيمته التجدد في آداب اللغات المختلفة، وهو مستحدث لمسيرة الفئة المستهدفة به مستوى لغوي وإدراكي، ويعمل على الارتقاء بمعارف الأطفال، والسعي إلى إدماجهم في المنظومة القيمية لمجتمعاتهم⁶.

مما تقدم نصل إلى أن أدب الطفل في التعريف المساق آنفا لم يستطع مغادرة أدب الراشدين ولا القيم التربوية التي التصقت به وأبت أن تفارقه، ومن ثمة سوف نلاحظ في جملة التنظيرات والمعايير التي حاولت تنميط قواعد يتأسس عليها هذا الأدب رهينة التصورات القيمية، الأمر الذي أوصل بعض الدارسين كما سنرى فيما يلي من الصفحات إلى الحرص على تغليب البعد الأدبي على القيمي. وهو ما يبيح لنا القول: إن أدب الأطفال خبرة لغوية تمنح الطفل المتعة والتسلية مع تنمية قدراته المعنوية والمادية، وهو الوسيلة لإطلاق العنان لخياله وطاقاته الإبداعية. وذلك بطريقة للألوان الأدبية التي يتمظهر فيها أدب الراشدين.

وهذا ما يعني أن أدب الأطفال ينماز عن غيره من الآداب الإنسانية، بقيامه على مراعاة خصائص الطفولة واحتياجاتها، في إطار من المثل والقيم والنماذج والانطباعات السليمة، حيث يؤدي هذا الأدب دوراً ثقافياً يفضي بالأطفال إلى اكتساب اللغة وعناصر الثقافة الأخرى. وله دور معرفي يتجلى في قدرته على تنمية القدرات الذهنية للطفل المساعدة له على توسيع مداركه المعرفية كال تفكير والتخيل، والتمثل، والتذكر... ومن هنا كان على أدب الأطفال أن يتوافق مع جاجياتهم، ومراحل نموهم العقلي والنفسي والاجتماعي، وأن يصاغ مضمونه في نمطية تعبيرية أسلوبية مخصصة.

3- دور أدب الأطفال في تكوين شخصية الطفل:

ويعتبر أدب الأطفال وسيطاً تربوياً، يتيح الفرصة أمام الأطفال لإيجاد إجابات عن أسئلتهم، واستفساراتهم، ومحاولاتهم الاستكشافية، وكذا تفتيق خيالهم، وتهذيب خبراتهم وصقلها من خلال الاطلاع على نماذج إنسانية قابلة للاحتذاء. ويتيح كذلك الفرصة أمام الطفل لتحقيق الثقة بالنفس، وروح المخاطرة في مواصلة البحث والكشف، وحب الاستطلاع، والدفع به نحو تحقيق منجزات فردية، والظفر بمكاسب ذاتية. كما يقوّي فيه العزيمة على المجازفة العلمية المحسوبة من أجل الاكتشاف، والتحرّر من الأساليب المعتادة في التفكير، إضافة إلى تنمية الفضول المعرفي⁷.

وإنّ أدباً للأطفال بالمعنى سالف الذكر يصير مؤشراً للإبداع: "ودعامة رئيسة في تكوين شخصية الأطفال عن طريق الإسهام في نموهم العقلي والنفسي والاجتماعي والعاطفي واللغوي، وتطوير مداركهم، وإغناء حياتهم بالثقافة التي نسميها ثقافة الطفل"⁸. ولا يمكن لنا تلمّس أهمية أدب الطفل، في مكون من مكوناته معزولاً عن الكل، فهي تتمظهر على مستوى: مادته، وموضوعاته، ومقاصده، ووسائله ومناشطه، فكلها مجتمعة تسهم في تربية الطفل ورعايته، وفي التشجيع على النمو والإبداع، وتنمية القدرات الابتكارية والخلقة لديه.

تأسيساً على ما سبق طرقه من مفاهيم لأدب الأطفال وموضوعاتٍ، وأهميةٍ ووظائفٍ يتجلى لنا تماهي الحدود الفاصلة ما بين الجمالي والتربوي فيه، وكذا الغموض الذي يكتنف المنتظر منه. فأدب الطفل ينبغي أن يُنظر إليه على أنه يستدعي مفهوماً يختلف عن ذاك الموجه للراشدين، ويكمن السبب في ارتباطه الشديد بالمقاصديات التعليمية التربوية، والعائدة في جوهرها إلى النمو العضوي والنفسي والمعرفي للطفل، وهو ما يعني بداهة أننا بإزاء مرجعيات عدة تؤطر كتابة الطفل، أهمها:

- المقومات الأدبية لأي كتابة تتوجه إلى الطفل.

- دراسات علم نفس الطفل.

- الأبحاث البيداغوجية والتعليمية.

ومع كل محاولات ربط التربوي بالجمالي في مفهومة أدب الطفل، والتي هي أساساً رؤى مبنية على ما يريده الكبار للصغار سيظل أدب الأطفال: "أدبا خالصاً بمادته، وبموضوعاته، وبمقاصده، وإن استعانت به الوسائل أو المناشط في تربية الطفل، أو تثقيفه، أو رعايته، أو تنشئته"⁹؛ وبالتالي فنحن بإزاء أدب موجه للطفل لا كتابة عن الطفل.

4- جمالية أدب الطفل وصعوبة تحقيقها:

وممكن الصعوبة في الكتابة الفنية للأطفال في كون الطفل: "ليس راشداً لنخاطبه بقول الراشدين وتقانات خطاباتهم"¹⁰، والأدب يتأسس على الخيال، ومن ثمة فإنه يحسن أن يقدم هذا الخيال في قالب لغوي جيد المؤامة بين الواقع والمتخيّل، بحيث يدخل في وفاق مع إدراكات الطفل بوساطة إحكام تنضيد مفردات اللغة في نسق فني، يقرب ذلك المتخيّل حتى ليبدو معه الخيال كأنه واقع جديد، بفضل فعل استعاري يحقق التحول في سلاسة وانسيابية، بحيث يراه ويلمسه، ويتعرف إليه، ويتفاعل معه، وبمعنى أدق يتواصل معه. ودليل إمكانية تلمس الأطفال مواطن الجمال وتذوقها توخيمهم الجمال في كل ما يحيط بهم: "في الدمية التي يلعبون بها، والكتاب الذي يقرأون فيه، والقلم الذي يكتبون به، والفرش الذي يلتحفون به، وما تعشّقهم للأدب منذ صغرهم إلا صورة من غرامهم بالجمال"¹¹.

أما غير هذا فإنه يوصل إلى التبسيط المجفف لمنابع الخيال، المؤدي إلى قتل اللغة، ومن ثمة يفقد النص الأدبي الموجه للطفل أهم صفة في الأدب، وهي أن يكون مدعاة للتشويق. وإن التبسيط الذي يمارسه المربون، وهم يعتقدون أنهم يصنعون أدبا خاصاً بالأطفال، هم في حقيقة الأمر يستخفون بالطفل، متجاهلين أنه يفهم الأدب، ويفكّكه بمنطقه الخاص، وفي هذا تغافل لمسألة هامة، وهي أن أعظم الأعمال الأدبية لم تكتب للأطفال أصلاً ولكنهم تلقوها بشغف، وإن بعض الكتّاب: "لم يكونوا كتاب أطفال ولم يخطر ببالهم أن يكون لهم جمهور من الأطفال، إلا أن الأطفال وجدوا في آثارهم مواقف خيال إنشائي، ورحلات تمتد بأفقها عبر الزمان والمكان"¹².

يضاف إلى ما تقدم أن تبسيط أدب الكبار للأطفال الذي تحرص بعض الكتابات العربية على الدعوة إليه مستدلة بنماذج عالمية وعربية تراها ناجحة، مع اعترافها بصعوبته فنياً؛ لأنه ينبغي أن "يتوفر في الأدب

المبسّط المقومات الأساسية للأدب الأصلي سواء أكان هذا الأدب قصة أم مسرحية أم مجموعة من الأشعار مع ضرورة الاحتفاظ بالروح العامة للكاتب الأصلي¹³، فإن فيه تشويها للأصل، وبقى دائما بإزاء ثنائية الأصل والنسخة المحاكية له، وليست النسخة أصلا، مهما بلغت من درجة الإتقان، وفي هذا قتل لروح الأدب، وغلق لباب تعدّد القراءات، سمة الأدب الجوهريّة، وسرّ جماليته، وديمومته الفنية، فما سيقدمه المبسّط هو نص تربوي وليس أدبيا، وما نجاح بعض الحالات التبسيطية عالميا ليس قاعدة تقبل التنميط، وإنما يمكن اعتبارها حالة إعادة تأليف.

ولكن كيف السبيل للوصول إلى هذا المبتغى، ودون ذلك إكراهات جمة تعترض بناء نص أدبي يحقق هذه المواصفات؟. وأول هذه الإكراهات المعرفة الدقيقة بآليات التلقي التي يستعين بها الطفل في التعامل مع النصوص التي تتلقفها عيناه، وتلتقطها أذناه، وتحمل القيم التي ينشدها، وتستجيب لتطلعاته، في زمن فقدت فيه القراءة ألقها وبريقها في ظل تعدد الوسائط والقنوات الناقلة للمعرفة.

وهو ما يعني أن الإشكال المطروح يدور حول كيفية تفاعل الأطفال مع ما يكتب لهم، وخاصة في ظل الانفجار المعرفي الحاصل نتيجة التطور المذهل في تكنولوجيات الاتصال، والذي خلخل المنظومة القيمية في المجتمعات العالمية، والتي وجدت تجلياتها في الأدب الموجه للأطفال عبر مختلف الوسائط الرقمية. فخطاب الطفل ينبغي أن يربط بالسياق الثقافي العام الذي يسري فيه، وبالتحولات المجتمعية المرافقة له في حاضره وفي تطلعاته.

فالطفل لا ينمو بصورة ذاتية، بل بقدر ما يوفره له المجتمع من عوامل تربوية تلبّي حاجياته القرائية، وفق مخطط علمي يعي الأهداف الاجتماعية للتنشئة الأدبية الصحيحة اعتمادا على مركز معرفي لساني قبلي يراعي المعجم اللغوي للطفل، وطرائق اكتسابه للغة.

وبما أن قوام الأدب الخيال والأسلوب والعاطفة والموضوع، وأنه دائم التمرد على كل الضوابط والإكراهات، ولا يمكن كبح جماحه بقواعد تنظيرية تقنن ممارسته، وأية محاولة لمغيرته هي عملية قتل ممنهج لفنيته وجماليته؛ وبالتالي قد يجد الكاتب للطفل نفسه في حرصه على إبراز القيم الأخلاقية والمبادئ العقدية قد خان الرسالة الفنية التي يسعى كل أديب إلى تحقيقها عبر نصه الإبداعي. وخاصة في مجتمعاتنا العربية التي تعودنا فيها على رؤية التربية على أنها مواعظ وقواعد يحشّى بها ذهن الطفل، وأوامر ترهب، وترسيمات تتبّع، كما كرّسنا ممارسات تجيد الفصل بين الطفولة والتربية الجمالية، وأقمنا بينهما حواجز وهمية، وكأن الأمر يتعلق بحاجة إنسانية تنبني على التقعيد المنهجي الصارم.

وإن نحن استعرنا مفاهيم ياكبسون، نقول إن الوظيفة الشعرية هي التي ينبغي لها أن تهيمن على النص الأدبي، وبما أن هذا النص موجّه إلى الطفل، وهو أدبي في المقام الأول، فإن الأمانة للموضوع لا ينبغي لها أن تتحول إلى خيانة لشكل النص.

5- سبل التوفيق بين الجمالي والتربوي في أدب الطفل وآلياته:

ولأجل التوفيق بين متطلبات الغاية الجمالية – قوام كل أدب- والغاية التربوية – مبتغى كل مربٍ- لا بد لهذا الأدب أن يتأسس على جملة مواضع لغوية وفنية تطبعه بقيمة مضافة، وترقي الرسالة التي يحملها هذا الأدب، وذلك بالنظر إلى كون توافر المستوى الفني يسبق أي تحليل لمحتوى هذا الأدب. لأن البحث عن القيم التربوية والأخلاقية لا معنى له إن لم ننطلق من نصوص أدبية قادرة على التأثير في الطفل وإمتاعه وإقناعه، فهو كما يقول شكري عياد: "ليس عملاً تربوياً فحسب، ولكنه عمل فني، بل هو فني أيضاً، بل هو عمل فني أولاً"¹⁴. فالحامل المادي لأي مضمون فكري أو قيمي هو اللغة، ومن ثم وجب الاهتمام بلغة أدب الطفل، من خلال العمل على:

1- الانطلاق من دراية تامة بمراحل النمو اللغوي لدى الطفل، وخصائص كل مرحلة عمرية، والكيفية التي ينمو بها رصيده اللغوي، حتى نتمكن من تنمية ذوقه الأدبي عن طريق إمداده بروائع فنية توافق المرحلة التي يمر بها، وبالتالي وسم الكتابة الموجهة إليه بالصدق والتلقائية؛ لأن الكُتّاب إذا: "إذا ظنوا أن مواهبهم تكفيهم للكتابة للطفل، فاقترضوا عليها، خسروا أحياناً المؤثرات التي تشدّ الطفل إلى الكتاب وتغريه بقراءته"¹⁵

2- تجنب الألفاظ الغريبة، والجمل الطويلة، والمبالغة في التقديم والتأخير، والإسراف في استخدام المجاز والاستعارة، والتركيز على حسن الانتقاء للمفردات التي تستهوي الأطفال. وهذا لا يعني أن الكتابة للأطفال بهذا الشكل أمر ميسور وفي متناول أي أديب مادامت بهذه البساطة ف: "أبسط الأشكال الأدبية هي الأكثر تعقيداً على الكاتب"¹⁶.

3- تحديد الفئة العمرية المتوجّه إليها بالكتابة الأدبية، واستثمار المعارف الخاصة بعالم الطفل في كل مرحلة من مراحل العمرية، وقد أضحى ذلك ميسوراً بفضل التراكم المعرفي الحاصل في ميدان علم النفس: "لأن الطفولة نفسها ليست مرحلة واحدة، فما يضحك طفل العاشرة، قد يثير رعباً أو خوفاً في طفل الخامسة؛ ولذا، يراعي الأديب ذلك في مضامين أعماله ولغته، وأسلوبه، وتراكيبه، وصوره، وتفاصيل الجنس الأدبي الذي يقدمه للطفل"¹⁷.

4- تبني آليات التحويل التعليمي التي تقوم على اختزال المضامين الفكرية، وتبسيط المحتويات المعرفية، وتيسير العبارات والتراكيب اللغوية، في أي عمل يتوجه إلى الطفل، حتى لا يشعر أن ما يوجّه له صعب المنال، والذي سينعكس في نفوره ممّا يكتب تحت عنوان أدب الأطفال، وبالتالي تتشكل لديه نظرة نمطية سلبية عن الأدب قد تمتد تداعياتها على سائر الآداب في مستقبل أيامه، فالنظرة الأولى حمقاء.

5- يحرص الكاتب للأطفال أن تكون لغة الكتابة للأطفال أرقى من مستواهم الكتابي حتى يعملوا على مضاهاتها وهذا مما يجعل من الكتابة للطفل مهمة في غاية الصعوبة: "إذ يقف الكاتب للأطفال على حدّ دقيق دقة السيف بين تيسير قد يؤدي إلى درك من الإسفاف، ومُؤقّد يؤدي إلى انفصام عن الطفل وإمكاناته"¹⁸.

6- حسن استثمار الوسائط التي وفّرتها التكنولوجيات المعاصرة، لاستحواذها على أغلب وقت هذا المتلقي، وكذا نظراً لتراجع الإقبال على الكتاب الورقي، وهيمنة ثقافة الشاشة على الطفل المعاصر. ثم إن: "الألوان

الأدبية المقدمة للأطفال تتخذ أشكالاً وصيغاً مختلفة وفق الوسيط الذي تناسب من خلاله إلى الأطفال... وهذا يعني أن يكون الكاتب على دراية كاملة بإمكانيات كل وسيط"¹⁹.

7- الحرص على انبناء أي عمل أدبي يوجه للطفل على عنصر التشويق إخراجاً ولغة ووسائط، كحسن الطباعة واللون الجذاب، والصورة الهادفة الخلاصة المكتملة لمعنى النص، وفي هذا الميدان لا بأس من استثمار التراكم النظري الحاصل في حقل سيميائيات الصورة. فموقف أديب الأطفال: "كموقف الفنان التشكيلي إزاء لوحته الفنية التي يبدعها... لأنه يتطلع إليها من بُعد قريب، بين حين وحين، ليعود يحمل الفرشاة ليضيف إليها لمسة، أو يضيف عليها لونا، وهكذا"²⁰.

8- استثمار المكون السردى، وعدم إثقال النصوص الموجهة للأطفال بالحكي الممل، بوساطة التنوع من الآليات الخطابية بغية إضفاء المتعة والحيوية على النصوص عن طريق المزج بالحوار المبعد للرتابة. ومن ذلك: "عدم إثقال المنظور السردى بالأفكار والنقاشات والجدل العقائدي والأخلاقي، مثلما يفضل عدم الخوض في التلاعب بوجهة النظر"²¹.

9- تفادي تقديم القيم الأخلاقية والتربوية حافية في شكل تقريرى جاف، وذلك بإخراجها في صور قصصية جميلة تدفع الطفل إليها واستنتاجها بنفسه من وضعيات تواصلية مؤثرة. ونود لفت الانتباه ههنا إلى أهمية استثمار الموروث الشعبي في نسج أدب راق يقبل عليه الأطفال بنهم؛ لأنّ كمّاً كبيراً من: "أدب الأطفال قام أصلاً على الأدب الشعبي المليء بالحكمة والتسلية والذي يجمع بين الحقيقة والخيال"²².

10- تحويل المجرد إلى ملموس وفق فعل استعاري يتحقق من خلاله مبدأ السهل الممتنع المتأصل في تراث العرب الأدبي، ومن أمثلة ذلك ممارسة الشخصية والانزياح عن واقع منطق الحياة بإجراء الحكمة والحوار وتقديم القيم على لسان الحيوانات، ولنا في تراثنا العربى نماذج ثرية يمكن الاستئناس بها مثل أعمال ابن المقفع على سبيل التمثيل لا الحصر.

11- تجنب تطويل النصوص لأن هذا يرهق الطفل وينفره منها؛ ولا ينبغي في الكتابة للأطفال أن يزيد طول النص القصصي عن عدد محدود من الصفحات مقترناً بإقبال الطفل على القراءة والتلقي، وبذا يختلف طول رواية الأطفال عن الرواية أو رواية الراشدين؛ لأن رواية الأطفال أميل إلى القصر"²³.

12- أن يخلو العمل الموجه إلى الطفل من التفاصيل الصارفة للذهن عن تركيز الانتباه: "الأطفال ليسوا راشدين صغاراً، لهم كل ما للراشدين من صفات عقلية وعاطفية وحسية وخيالية بصورة مصغرة أو قليلة، بل لهم صفاتهم الخاصة بهم"²⁴.

6- خاتمة:

تشكل المتعة والتربية مكونين ينبغي تحققهما في أي أدب موجه إلى الأطفال، وإنّه لمن الصعوبة بمكان الجزم بحد فاصل أو جامع بين الأدبية والغاية التربوية، وإنّما هي علاقة الجدول والحوار والمد والجزر بين مقومات أي نص أدبي متناسق، وبين أي غاية يمكن أن تُضمّن في خلفية ذلك النص. ومن ثم وجب علينا أن نضع في الحسبان أن تنمية الجانب الوجداني عبر هذه النصوص الجميلة هو من المجالات التي تهدف أي تربية

إلى إنمائها، بمعنى أنه لا تعارض بين الجمالي والتربوي؛ فـ"الحكاية الممتعة هدف يتقدم على الوظيفة التربوية ولا يتخلى عنها، ولا بد من العناية بالصوغ الفني للأدب إذا أردنا تحقيق الهدفين الجمالي والتربوي"²⁵.

وعلى معدي نصوص الأطفال الارتكاز على مفهوم للطفولة يسم الأدب الموجه إليها على أنه مرادف للاندفاع والتحمس الذي لا يُحد بقاء، وأن التربية بمفهومها المتداول لدى بعض المربين قد يكون قيذا يعيق انطلاقا الطفل؛ مما يعني أن يعاد النظر في مفهوم التربية على أنها انشراح إنساني يناقض الجمود، وبذلك نكون بإزاء وجهين لعملة واحدة: فـ"هو يصور حياة لا تضبطها قواعد وتقاليد، بقدر ما يحيط بها من متع وآمال وطموحات وأحلام وردية"²⁶.

الهوامش والإحالات:

- ¹- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائله. الهيئة العامة المصرية للكتاب ودائرة الشؤون الثقافية العامة، القاهرة- بغداد، 1986، ص 80.
- ²- أحمد علي زلط، الخطاب الأدبي والطفولة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة مكتبة الشباب، ع 54، القاهرة، مارس 1997، ص 116.
- ³- الكهف/ 86.
- ⁴- عبد الفتاح إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط 1، 2000، ص 11.
- ⁵- نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام. الشركة المتحدة للنشر والتوزيع. ط 4. مصر. 1996. ص 12-13.
- ⁶- ينظر: أحمد علي زلط، أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي "دراسة تحليلية ناقدة"، دار المعارف، مصر، 1994، ص 30.
- ⁷- ينظر: حسن شحاته: أدب الطفل العربي: دراسات وبحوث. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة. ط 1. 1991. ص 12.
- ⁸- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائله. ص 72.
- ⁹- عبد الفتاح إسماعيل، أدب الأطفال في العالم، ص 24.
- ¹⁰- عبد الله أبو هيف، التنمية الثقافية للطفل العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 7.
- ¹¹- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائله. ص 93.
- ¹²- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائله. ص 84.
- ¹³- سيطرة أحمد محفوظ، تبسيط أدب الكبار للأطفال: دراسة نظرية مع نماذج تطبيقية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1991، ص 5.
- ¹⁴- نقلا عن: محمود شاكر سعيد، علاقة أدب الأطفال الإسلامي بالتربية، ضمن مجموعة مؤلفين، أدب الأطفال: بحوث ودراسات، منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الرياض، ط 1، 1438هـ/ 2018م، ص 409.
- ¹⁵- سمير رويحي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص 40.
- ¹⁶- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائله. ص 81.
- ¹⁷- أنور عبد الحميد الموسى، أدب الأطفال... "فن المستقبل"، دار النهضة العربية، 2010، ص 10.
- ¹⁸- أحمد علي زلط، الخطاب الأدبي والطفولة، ص 116.
- ¹⁹- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائله. ص 81.
- ²⁰- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائله. ص 80.
- ²¹- عبد الله أبو هيف، التنمية الثقافية للطفل العربي، ص 13-14.
- ²²- سيطرة أحمد محفوظ، تبسيط أدب الكبار للأطفال. ص 9.
- ²³- عبد الله أبو هيف، التنمية الثقافية للطفل العربي، ص 13.

²⁴-هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه. ص73.

²⁵- سمر روجي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، ص45.

²⁶- عبد الفتاح إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص26.